● جاء والدى لزيارتى فى ميس الضباط ، حاملا لى نصيحة من رئيس ادارة الجيش تقول : لقد ضعت يا انور لا محالة . وحكم الاعدام صدر – بالفعل – ضدك ! وتنفيذ الحكم رميا بالرصاص اصبح مسألة أيام قليلة ومعدودة ! فاذا اردت ان تنجو بحياتك ، فليس امامك سوى الاعتراف ! فاعترف بكل شيء . فهذا وحده الذى يمكن ان يقنع المجلس العسكرى الاعلى بتخفيف الحكم ضدك ، والغاء حكم الاعدام ، واستبدال السجن المؤبد به !

ورفضت النصيحة . وقلت لوالدى : لا تصدقهم . فهم لا يملكون اى دليل ضدى . ولو كان معهم هذا الدليل لما انتظروا منى اعترافا . ولامروا باعدامى منذ اللحظة الأولى !

عرفت هؤلاء

بقلم : أنور السادات

الجاسوس الذى لايخفى سرا !

أراد زوار الفجر – من الضباط المصريين والانجليز – ادخالى سجن الاجانب ، تمهيدا للتحقيق معى ، بعد ان فشلوا فى العثور على اى شيء داخل منزلى ، يمكن ان يدينني ، ويثبت اتصالى بالجواسيس الالمان . ورفضت دخول سجن الاجانب . وتمسكت بحقى كضابط جيش لا يمكن التحفظ عليه بداخل سجن الاجانب . وطالبت باتباع القواعد المتبعة مع الضباط . والتحفظ على فى ميس الضباط . وتحت حراسة ضابط جيش مثلى .

واجرى زوار الفجر الاتصالات العاجلة . ثم عادوا ووافقوا على طلبى . بعد ان وجهوا الحق معى . وتم ترحيلى الى قشلاق الفرقة (ب) وكان يقع – فى ذلك الوقت – فى شارع القصر العينى وامام مجلس الشعب ، تمهيدا لنقلى فى صباح اليوم التالى الى ميس الضباط .

وهكذا فرضت رأيى على زوار الفجر ..

وفى اليوم التالى نقلت الى مكان التحقيق معى ، وهو نفس المبنى الذى تشغله الآن وزارة الدفاع ، وكان وقتها مقر رئاسة الاركان . وتشغل المخابرات العسكرية جانبا صغيرا من هذا المبنى .

وكان مجلس التحقيق يتكون من ثلاثة ضباط من ادارة المخابرات العسكرية المصرية ، واثنين من الضباط الانجليز ، وضابط بوليس مصرى واحد .

وحاولت ان افرض رأيى على زوار الفجر مرة اخرى . فاعترضت على تشكيل مجلس التحقيق . وقلت فى غضب :

– كيف يمكن ان اكون ضابطا فى الجيش ، ثم يحقق معى ضباط انجليز ، وضابط بوليس مصرى ؟ اننى ارفض المثول امام هذا المجلس . واطالب باعادة تشكيله من ضباط جيش مصريين فقط .

ولم يهتم ... أو يلتفت ... احد الى طلبى

وقد عدت الى المثول امام مجلس التحقيق الذى ... والانجليز ... ورجل البوليس !

وبدأ التحقيق الطويل .. والمرهق

وشخصوص بين عشرة ضباط من البوليس المصرى ، وارتدوا نفس الملابس ، ونفس الرتب تقريبا ووقفنا فى طابور العرض امام جاسوسى المانيا اللذين قبض عليهما قبلى . وطلبوا منهما التعرف على الضابط المصرى الذى تعرفا عليه ونقلهما الى الفريق عزيز المصرى . وزارهما فى عوامتهما . واخذ منهما جهاز الارسال والاستقبال اللاسلكى .

وتقدم الجاسوسان – ابلر وسانداى – الى الطابور الطويل . ووجدت بابلر ينظر الى ثم يتوجه ناحيتى مباشرة ويشير باصبعه الى قائلا :

– هذا هو !

الجاسوس الثانى – سانداى – كان اكثر خجلا من زميله ابلر الذى لا يعرف التحفظ ولا يحتفظ بسر فيه – على الاقل – لم يتجه الى مكانى على الفور .

ويقترب منى من الصف ، كما فعل ابلر . وانما اخذ يمر امام الطابور من اوله ، ويتطلع فى وجوه الضباط الواحد بعد الآخر .. الى ان وصل الى مكانى ، فتوقف ، واشار – فى خجل – الى شخصى .

وعرفت تفاصيل القبض على الجاسوسين فيما بعد ..

تبين انه تم القبض على ابلر وسانداى بعد يومين فقط من زيارتى لهما فى العوامة . لقد زرتهما يوم الجمعة ، والقى القبض عليهما يوم الاحد .. ثم قبضوا على يوم الثلاثاء .

وعرفت ان ابلر لم يستطع ان يصمد امام الذين حققوا معه . فقد تطوع وادلى باعترافات كاملة ، مدعمة بكل التفاصيل . الاسماء والتواريخ ، وبشكل لم يكن المحققون يحلمون به او يتوقعون الحصول عليه بمثل هذه السهولة !

لم يترك ابلر صغيرة ، او كبيرة ، الا وذكرها واعترف بها .

ووجدت نفسى حائرا بين امرين .. الامر الاول : انكر معرفتى بالجاسوسين . وبالتالى اجد نفسى مطالبا بالدفاع عن موقفى بالحجة لتجريح الشرائط والوقائع والادلة التى قدمها ابلر وتطوع باعترافها والامر الثانى الا انكر معرفتى بالجاسوسين . وفى نفس الوقت انكر تلك الصلة بحيث يمكننى الافلات من هذا المأزق الذى وقعنا فيه جميعا .

قلت للمحققين :

– نعم .. لقد تعرفت عليهما . ولكن الحقيقة اننى لم اعرفهما كجاسوسين لالمانيا . وانما كضابطين فى الجيش البريطانى . وهذا شيء طبيعى ، ولا غبار عليه !

وتعجب ابلر غاضبا . وصارخا :

– هذا غير صحيح .. فهو يعرف اننا المان . ووافق على ان يلتقى بنا سرا . ولم يحدث ان قدمنا انفسنا اليه كضباط انجليز .

وسألنى المحققون :

– واين التقيت بهما ؟

فقلت :

– التقيت بهما فى قشلاق الجيش بالعباسية . وهذا دليل على اننى صدقت انهما ضابطان بريطانيان .

فلم يكن من المعقول ان يسمح بدخول جواسيس المان الى داخل القشلاق . ولا يكتشف امرهما ؟

وعاد ابلر الى القفز غضبا . وصرخ يكذبنى قائلا :

– غير صحيح . فلم يحدث ان دخلنا قشلاق العباسية . والحقيقة اننا تقابلنا معه فى محل الجمال . فى وسط القاهرة . وهو محل الآن فى ... بعد ان تحول محل الجمال الى قشلاق العباسية !

وقرأ ابلر المراجعي ... امام مجلس التحقيق :

– ان ... حسن عزت ... ويتعامل معنا ... وهو الذى قدمنا له .

وبنفس الهدوء قلت :

– غير صحيح . وحسن عزت لا يعرف اى شيء عنكما سوى انكما ضباط انجليز !

وكاد ابلر ان يفقد صوابه ، فهو يعترف ، ويقدم الدليل بعد الدليل ، وانا ارد عليه بمنتهى الهدوء . فاكذبه . واجد مبررا مقبولا لكل ما يرويه ، ويورطنى معه .

ولم يكن سهلا ما قمت به . فمنذ ان علمت بوقوع ابلر وسانداى فى قبضة المخابرات البريطانية والمصرية ، وانا افكر فى كيفية الهروب بجلدى ! فمعرفتى السابقة بابلر جعلتنى اتوقع نشاطه ، وعدم صموده . وتطوعه بتقديم الاعترافات لكل ما قام به .

وكان لابد – والامر كذلك – ان اضع خطة ادافع بها عن نفسى ، وابرر بها تصرفاتى . وكنت فى حاجة الى مقابلة حسن عزت . ولم يكن هذا بالامر السهل . فقد وضعت تحت التحفظ داخل ميس الضباط . وتحت حراسة مشددة يقوم بها احد ضباط الجيش . ولم يكن مسموحا ان يتعرض لنا تعرضت له ان يلتقى بزميل له يواجه نفس المصير ، ليتفقا معا على خطة الدفاع . ولكن الحراس من الضباط فى الميس واتفقوا على ... وسهلوا الى عملية مقابلة حسن عزت .

وقلت لحسن عزت :

– عندما يسألونك فى التحقيق ، فعليك ان تنكر كل شيء .. واترك الباقى على !

ونفذ حسن عزت ما طلبته منه بالضبط .. سألوه امام مجلس التحقيق :

– هل ذهبت مع انور السادات لمقابلة ابلر وسانداى ؟

ورد حسن عزت :

– نعم .. ولكننى لا اعرف اى شيء عن هذا الموضوع . فانور هو الذى حدثنى عن الضابطين البريطانيين . وهو الذى قدمنى اليهما . وهو الذى كان يحدد مواعيد اللقاءات . ويأخذنى معه اليهما .

ولم تجد لجنة التحقيق ما تأخذه على حسن عزت . نتيجة لاقواله والتى جئت انا واثبتها . عندما قدمت المبررات اللازمة لجميع تصرفاتى ولقاءاتى مع ابلر وسانداى .

وحاول ابلر التدليل من اجل تكذيبى . واقناع مجلس التحقيق بتورطى معه . وتصور انه يستطيع ان يكشف امرى عندما قال تاجيتى وسألنى فى تحد :

– الم تأت لزيارتنا فى العوامة . وعندما اردت ترك العوامة اقترب منك الكلب وانت يهوهو فقلت لى خائفا ابعد الكلب عنى ؟

فقلت له :

– لا لم يحدث ان ذهبت الى العوامة . ولم يحدث ان رأيت كلبا ، او قطا !

فعاد ابلر يسألنى :

– وجهاز اللاسلكى الذى اخذته منا فى العوامة ونقلته الى منزلك . اليس دليلا على زيارتك . وعلى اتفاقك ؟ فقلت له :

– واين هو هذا الجهاز الذى تتحدث عنه ؟ لقد هاجم الضباط منزلى بعد القبض ، وفتشوا بتفتيش جميع الغرف . فلم يعثروا على هذا الجهاز .

ولم يقتنع ابلر بدفاعى . واراد ان يتحدث . وكنا نجلس معا امام مائدة فى مواجهة مجلس التحقيق . فاردت ان اسكته . فضغطت بقدمى فوق قدمه . وبدلا من ان يسكت . هب واقفا . وقال صارخا :

– **انظروا .. انه يدوس على قدمى لكى اسكت ! انه لا يريد الاعتراف .**

وبنفس الهدوء . نظرت الى اعضاء مجلس التحقيق وقلت لهم :

– ارجو اثبات اننى لا اعرف اى شيء مما يقوله هذا الرجل . فلا انا ضغطت على قدمه . ولا انا عرفته كجاسوس المانى . ولا انا زرته فى العوامة

بهذه الصفة . انا قلت اننى تعرفت به . عندما قدم لى نفسه كمجنون فى الجيش البريطانى . وتقابلت معه فى قشلاق العباسية . وفيما عدا ذلك فاؤكد لكم انه كذب وافتراء !

وازداد هياج ابلر . واضطروا الى ان يخرجوه . الصمت . والجلوس فى مكانه ..

سانداى – الجاسوس الالمانى الثانى – اضطر الى التسجيل على اعترافات زميله ابلر . ولكنه – اى سانداى – كان يشعر بالخجل . وهو يدلى باعترافه . وكان يتحدث وهو ينظر الى الارض . ولا يجرؤ على التطلع الى الاعلى . وكان يتحاشى ان ينظر الى ... زميله ابلر الذى لا يعرف الخجل . ولا الحياء .

وانتهى التحقيق . ولم يستطع المحققون ان يحصلوا منى على شيء .

واعادونى الى ميس الضباط . تحت الحراسة .

وذات صباح فوجئت بزيارة من والدى – الذى نجح فى الحصول على تصريح بذلك . وكنا فى شهر رمضان المبارك . وكان من الواضح جدا على وجه والدى انه يعانى من شيء ما لم اعرفه بعد . وبادرت بسؤاله :

– خير .. يا والدى ؟ ماذا يقلقك هكذا ؟

ورد والدى :

– لقد زارنى امس اللواء على باشا موافى .

وقبل ان يواصل والدى حديثه . تملكتنى الدهشة فى حيرة ، ودهشة . فاللواء على باشا موافى كان وقتها يشغل منصب رئيس ادارة الجيش . اما والدى فكان يشغل وظيفة متواضعة . بوصفه كاتبا فى ادارة القسم الطبى بالجيش . ثم ترقى فيها الى ان وصل – بعد عمر طويل – الى منصب مدير الادارة . فما هو سبب الزيارة التى يقوم بها مسئول كبير جدا فى الجيش المصرى . لرجل ادارى بسيط فى احدى الادارات ؟! حقيقة ان على باشا موافى كان يعرف والدى عندما كانا معا فى السودان . ولكن تلك المعرفة البسيطة جدا لا يمكن ان تبرر تلك الزيارة التى قام بها على باشا موافى لمكتب والدى فى الادارة الطبية !

والتوتر الذى بدا على والدى طويلا فى حيرتى . وبعدها قال لى :

– لقد دهشت عندما فوجئت بعلى باشا موافى امامى . وازدادت دهشتى عندما سمعته يحدثنى قائلا : اسمع .. انى اعرفك منذ ايام خدمتنا فى السودان . وانا احترمك صديقى . ولهذا السبب لم اطلبك لتحضر الى مكتبى . ورأيت ان احضر انا اليك ! وانت تعلم انى احترمك . واقدرك . ولولا هذا لما اهتممت كل هذا الاهتمام . واتيت عندك . بمسئولياتى . واتيت اليك هنا .

وقبل ان يلتقط والدى انفاسه . عاد اللواء على باشا موافى الى مواصلة حديثه قائلا :

– انى ارى ان ولدك انور فى مأزق خطير الآن . وارى ان تذهب اليه على الفور وتزوره فى الميس . ويمكنى ان اساعدك فى استخراج تصريح الزيارة . وتنصحه بان يعترف بكل شيء . فهذا الاعتراف هو الطريق الوحيد الذى يمكننا ان نستند اليه . عندما نتقدم ونطلب الرأفة به . ومن المؤكد ان اعتراف انور سيعطيه الفرصة لاخذ حكم مخفف . ولا داعى لان اشرح لك ان عدم الاعتراف . والاصرار على النفى والانكار . سيقودان انور ابنك الى الاعدام رميا بالرصاص !

ولم يحسم على باشا موافى ... والدى ... الذى كان يرتجف خوفا . وفزعا .. من كلمات وتهديدات القائد العسكرى الهيب فواصل موافى باشا حديثه لوالدى قائلا :

– ولا اخفى عليك ان الحكم باعدام ابنك اصبح امرا مفروغا منه . والمسألة كلها لن تستغرق سوى بضعة ايام معدودة . بل يؤسفنى ان اقول لك ان هناك امرا للفرقة ضرب النار – التى تقوم باطلاق نيرانها على المحكوم عليهم بالاعدام – للاستعداد . وتكون رهن الاشارة فى اية ساعة ؟ فهل تريد لابنك ان يلقى هذا المصير ؟ انصحتنى لك ان تذهب اليه . وتقنعه بالاعتراف . فهذا وحده الحل لانقاذه من الموت . فما رأيك ؟!

ولم يكن لوالدى رأى يقوله ..

لقد اصيب باكبر صدمة له فى حياته .. فالقائد العسكرى الهيب جاء ليتصل اليه ضرب اعدام ابنه ! فهل يمكن لاب ان يكون له رأى فى هذه الكارثة ! وانتهت القابلة ..

وفى اول ساعة من ساعات نهار اليوم التالى كان والدى يزورنى فى ميس الضباط . وينقل الى الحديث الخطير الذى سمعه من اللواء على باشا موافى .. وتصور والدى اننى ساتهاوى . واسقط من طولى . كما تهاوى هو وسقط ! ولكنه ذهل عندما وجدنى اضحك له واسأله فى هدوء قائلا :

– وهل صدقت يا والدى ما قاله لك موافى باشا ؟!

ورد والدى فى حدة وقلق عظيمين .

– وكيف لا اصدقه وهو رئيس ادارة الجيش ؟!

واسرعت محاولا تهدئة والدى فقلت له :

– ليس صحيحا ان جماعة ضرب النار تلقت امرا بالاستعداد . فهذا الامر لا يصدر الا بعد ان تنتهى المحاكمة . ويصدر حكم الاعدام رميا بالرصاص ضد المتهمين . وهذا لم يحدث حتى الآن . فلا المحاكمة انتهت . ولا الحكم باعدامى صدر . وبالتالى فلا يمكن ان تتلقى جماعة ضرب النار هذا الامر الذى يتحدث عنه موافى باشا . انه يريد فقط اخافتك . وتحطك لاقناعى بالاعتراف . وتأكد يا والدى ان الاعتراف المطلوب هو الذى سيقودنى الى الاعدام ! انهم لا يملكون اى دليل ضدى . ولو كان معهم هذا الدليل . فهل كان يمكن ان يزورك على باشا موافى . ويزعم انه سيلقك . وتهب حياة ابنك . وينصحك باقناعى بالاعتراف . حتى نعطيهم الدليل الوحيد على ادانتى . ويستندوا اليه عند الحكم باعدامى ؟!

ويبدو ان والدى اقتنع بكلامى . فقد هز رأسه موافقا . وان ازدادت حيرته وتعاظم قلقه . فسألنى :

– اذن . ماذا ستقول لهم يا انور ؟ فعلى باشا موافى ينتظر ردك . وقال لى انه سيمر لزيارتى غدا لسماع رأيك ؟

وبنفس الهدوء قلت لوالدى :

– **لا تقل شيئا . ويمكنك ان ترد على الباشا قائلا بانك لا دخل لك فى هذا الموضوع . فانا كان لدى الجيش اى شيء ضد ابنك . فعلى الجيش ان يتصرف معه . فهو ضابط فى الجيش ويعرف ماذا يفعل ويجب عليه ان يتحمل مسئولية عمله !**

وعاد والدى يسأل وهو حاول ان يبدو هادئ البال على :

– قل لى يا انور .. هل حقيقة انهم لا يملكون دليلا واحدا ضدك . يمكن ان يدينك ؟ ارجوك . قل لى يا ابنى ولا تخف عنى اى شيء .

واسرعت الرد عليه

– ابدا .. ابدا .. فاطمئن يا والدى ولا تشغل نفسك ابدا بهذا الامر الذى سينتهى على خير باذن الله . فكما قلت لك ان الجيش لم يمسكنى بعد . وكل ما حدث معى هو التحقيق معى امام مجلس التحقيق فاذا وجدوا اى شيء ضدى . فسوف يحيلوننى الى المحاكمة العسكرية . التى ستحقق من جديد ثم تصدر حكمها فى القضية . وهذا كله لم يحدث حتى الآن ماطمئن .

وسألنى والدى مرة اخرى .

– وماذا يحدث اذا اقتنع مجلس التحقيق بسانداى وابلر الى المحكمة العسكرية ؟

قلت :

– ان يحدث . فهم لا يملكون اى دليل ضدى . ولو كان معهم هذا الدليل لما انتظروا على حتى اليوم . لقد هاجموا منزلنا فى الفجر بحثا عن الدليل . وهو جهاز اللاسلكى . وعندما لم يعثروا عليه . ضاعت منهم القضية تماما . فلا جريمة دون جسم الجريمة !

وتركنى والدى . وهو لا يستطيع ان يطمئن تمام الاطمئنان على مصيرى .

وفى صباح اليوم التالى جاء على باشا موافى لسماع رأى ابى الذى قدمته لوالدى . ولم يستطع موافى باشا ان يقول لوالدى اكثر من :

– والله .. لقد فعلت كل ما فى وسعى لانقاذ ابنك . ولا استطيع ان افعل اكثر من ذلك . وعلى ابنك ان يتحمل الآن كل ما يحدث له !

أنور السادات